الموعظة الاخيرة للأب الشهيد ثائر سعد الله أبلحد

"لَيسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعظمُ مِن أَن يَبذِلَ نَفسَه في سَبيلِ أَحِبَّائِه.) (يو 15: 13)

الأب حبيب هرمز - لندن 2011

مقدمة

خلال زيارة احدى بنات كنيستنا في لندن لكاتدرائية سيدة النجاة لأجل الصلاة عن راحة امها واخيها بعد استشهادهما في الكاتدرائية، يوم الأحد 31 اكتوبر سنة 2010، عثرت على ورقتين ملطختين بالدم ملقاتين على الأرض، فالتقطتهما كذكرى وهي متأكدة انهما تخص الحادث المؤلم او احد الضحايا.

وعندما عادت الى لندن طلبت مني الإطلاع عليهما، فاطلعت على الورقتين فإذا بهما موعظة للأب ثائر سعدالله، كان قد شرع بالكرازة عندما باغتهم الإرهابيون. ثم اقترحت على السيدة الفاضلة نشر الموعظة فهي تعني الكثير لنا، وتبقى شهادة للتاريخ وثيقة مهمة لكل من يكتب تاريخ كنيسة العراق الشهيدة.

الموعظة

الأب الشهيد من مواليد 1978 وقد رسم كاهناً في يوم عيد التجلي سنة 2006. كتب الشهيد الموعظة بلونين: ازرق واحمر، وكان عدد الكلمات حوالي 300 سطرت في صفحتين بأسطر متباعدة ليسهل عليه متابعة النص. ويبدو من عدد الكلمات عظم ثقة الشهيد بقدرته الخطابية بحيث انه عصر افكارا عميقة في مقاطع قصيرة.

كان المؤمنون يوم المجزرة يحتفلون بالقداس الإلهي لمناسبة احد تقديس الكنيسة. وقد وضع الأب الشهيد عنواناً هو: "الكنيسة هي عروس المسيح". يقول الأب: " نفتتح السنة الطقسية بالتأمل في تقديس الكنيسة وتجديدها، لتكون المكان والأداة كي نعيش حياتنا المسيحية في ضوء سر المسيح (الكلمة المتجسدة). إننا نحتفل اليوم بعيد تقديس الكنيسة، معلنين قداستها النابعة من الثالوث القدوس: من محبة الآب ونعمة الإبن وحلول الروح القدس، وداعين المؤمنين ليتقدسوا بكلمة الإنجيل ونعمة الأسرار وخدمة المحبة."

يستمر الشهيد في موعظته لينادي بدعوته فيقول: "تدعونا الكنيسة في هذا الأحد الى التأمل في مفهوم القداسة المبني على إيمان الكنيسة، والمستند على الإقرار الواعي والجذري ببنوة يسوع المسيح والوهيته." فيؤكد الأب الشهيد على التعليم المسيحي فيقول: " لابد من شرح معاني نص الإنجيل لنتمكن من الولوج الى مفهوم النص ببعديه اللاهوتي والكنسي."

ويطرح الشهيد السؤال الذي سأله يسوع لتلاميذه وهم في الطريق بإتجاه قيصرية فيلبس: "من أنا في قول الناس؟" لقد اراد يسوع اعلان الوهيته في هذا المكان بالذات وبداية بالتلاميذ. يشرح الشهيد معنى ابن الإنسان فيقول ان لها معنيان: الأول اجتماعي لأن يسوع هو ابن يوسف النجار، والثاني لاهوتي حيث يطلق يسوع على نفسه هذا اللقب كل مرة يكشف فيها عن الوهيته.

يؤكد الشهيد على دور الصمت والإصغاء في التعرف على شخصية المسيح. هذا فحسبه ان الصمت لا نهاية له، انه صمت امام سر تفرغ فيه الكلمات من معانيها، وتسكت الإحداث، فينكشف السر تدريجياً.

في النهاية يذكر الشهيد المؤمنين باعترافهم بالمسيح من خلال تعاريفه البسيطة فيقول: المسيح هو الكلمة الجديدة او العقل الجديد. يسوع المسيح هو انسان واله في شخص واحد. ففيه يتم اللقاء الحقيقي بين الله والإنسان.

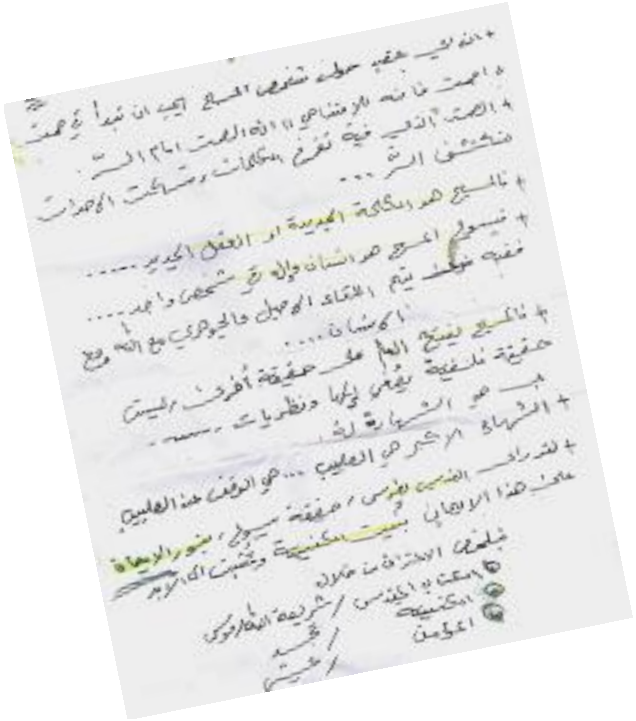

المسيح يوجه افكارنا الى حقيقة اخرى لا هي فلسفية او نظرية، ولكن الى الشهادة الكبرى هي بواسطة الصليب. ويدعونا الأب الشهيد الى الوقوف عند الصليب، فحسبه إن القديس بطرس رأى حقيقة يسوع بنور الإيمان هذا. والإيمان هذا بنيت الكنيسة وثبتت على اساسه الى الأبد.

يلخص الأب الشهيد الإعتراف بالمسيح من خلال ثلاث طرق مرتبطة معاً: الكتاب المقدس وفيه كلام الله، والكنيسة وفيها التجسد، واخيرا حياة المؤمن وفيها عيش الإيمان.

قال مار افرام، إن دماء الشهداء هي بذار الإيمان. إن قطرات الدم على ورقتي الكرازة اتحدت مع الكلمات اعلاه لتشكل حياة ربطت بين الأرض والسماء؛ بين مار بطرس ويسوع المسيح وشهداء كنيسة سيدة النجاة.

الإستشهاد لدى مار يعقوب السروجي

لقد تألم القديس يعقوب السروجي من مشاهد تعذيب المؤمنين وهو يتأملها في فكره الوقاد فيصف المشهد وكأنه كان حاضراً يوم المأساة:

" 31 رقاب مقطوعة، واجساد منشورة، واجسام معذبة، ورؤوس مبتورة، وجثث جميع المعذبين. هذا جُلد، وهذا رُجم، وهذا [ضُرب، وهذا قُطّع، وهذا جُرجر، وهذا أُخذ، 34 يوجد من هم مربوطون، ومن هم مسلوخون من قبل المضطهدين، الواحد مقطع، والآخر نهشته الحيوانات، 35 يوجد من تتصاعد محرقته من النار كالعطور، ويوجد من [طُبع الكيّ في جسده كالبلور، 36 يوجد من يركض على سكك الفولاذ، [من قبل الظالمين] ويوجد من [يطأ على جمرات النار كانها زهور، 37 الواحد [مربوط في العجلة المقرونة باللهيب، /640/ والآخر مهشم ويُقطع من قبل الاثمة، 38 ذاك هُتك، وذاك عُوّر، وذاك قُطع، وجميعهم احتملوا كل الضيقات بمحبة." [1]

ولكن في ذات المقالة يقول ان النار تختبر الذهب: " النار تختبر الذهب الصافي فيما لو كان جميلا، والموت يفحص المحبة بالآلام فيما لو كانت حقيقية"[2]

كان هذا الأب الشهيد نبياً من انبياء العصر بحق لأنه تنبأ بمصيره. فاقترب من الكمال ونال الإكليل مع رفاقه الشهداء. يستحق التكريم والحب. إن في ثباته حتى الإستشهاد لقوة عظيمة نابعة من صليب يسوع المسيح.

ومضات من تاريخ الكنيسة

قدمت الكنيسة ملايين الشهداء عبر التاريخ. ولعلّ من الواجب ذكر شهيدين من امريكا الجنوبية وبريطانيا وهما يقيمان القداس. عندما هدد الإرهابيون بالقتل

---

[1] الميمر 56 ليعقوب السروجي. ترجمة الأب د. بهنام سوني

2 – امثال 3/17

رئيس أساقفة السلفادور اوسكار روميرو1980، قال: "أنا ملتزم، كراع، حسب الوصية الإلهية، بأن اهب حياتي للذين احبهم، والذين هم كل ابناء بلدي، حتى الذين يريدون قتلي."[3] وهكذا اطلق القاتل الرصاص عليه وهو يقيم القداس الإلهي لأنه اعلن ملكوت الله. والقديس توماس بيكيت استشهد سنة 1170 عندما نفذ سيف عملاء الملك الإنكليزي هنري الثاني في صدره وهو يقيم القداس الإلهي ايضاً لأنه دافع عن قتل كاهن ظلماً من قبل جنود الملك.

الختام

شهداء كنيسة العراق هم حلقة مرتبطة بشهداء الكنيسة منذ ان ارتوت الأرض بدم الشهيد اسطيفانوس وحتى الآن. وللأمانة اقترح ان نتطوع لجمع آثار الشهداء كما فعل مار ماروثا في القرن الرابع، ان نترجمها للغات الحية كي يطلع العالم اكثر فاكثر على قوة ايمان ابناء كنيسة المشرق. ونتضرع ونطلب من كل شهداء المسيحية الممجدين ان يصلوا لأجل ابناء الكنيسة المجاهدة كي يشع نورها اكثر في العالم. يقول كتاب التعليم المسيحي الكاثوليكي: " 957نكرم سكان السماء لتوثيق عرى الإتحاد في الروح للكنيسة جمعاء. اشتراكنا مع القديسين يربطنا بالمسيح الذي منه تفيض كل نعمة وحياة شعب الله بالذات، كما من نبعها ورأسها"[4]

[3] Knowles, L., Catholic Book of Quotations, Our Sunday Visitor, 2004, P.244
[4] The Holy See (2007): Catechism of the Catholic Church, Geoffrey Chapman.